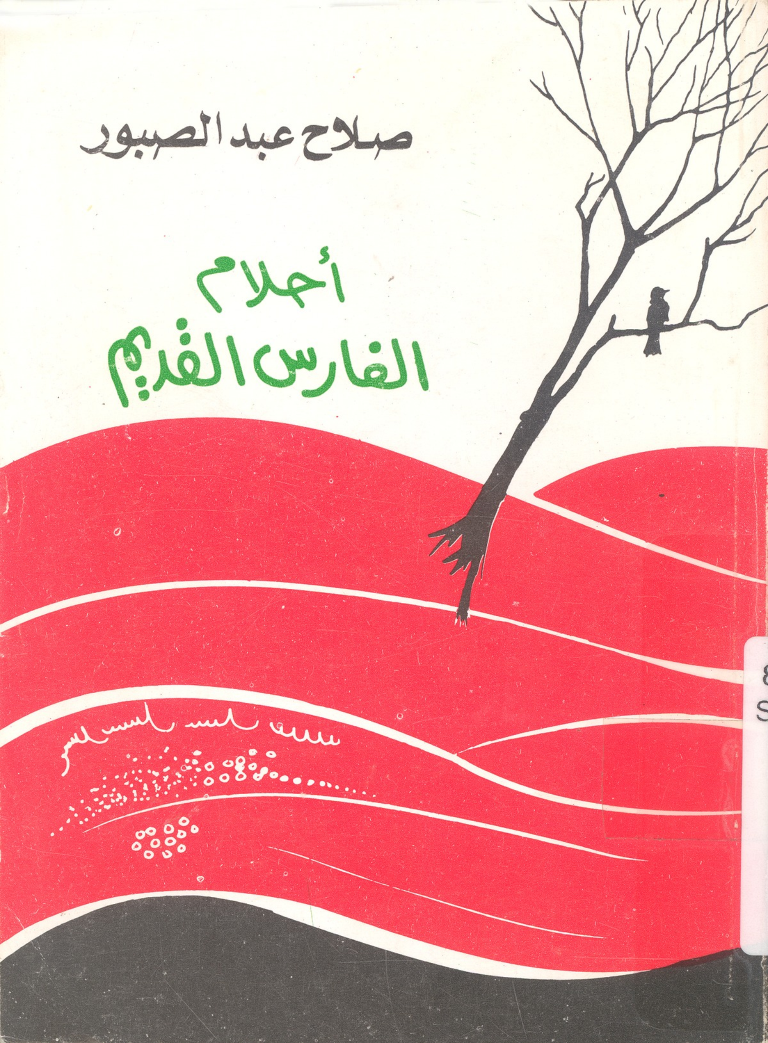

صلاح عبد الصبور
أحلام
الفارس القديم

أحلام الفارس القديم

أحلام الفارس القديم

مفتتح

معذرةً يا صحبتي ، لم تثمر الأشجارُ هذا العامْ
فجئتكم بأردإ الطعامْ
ولست باخلاً ، وإنما فقيرةٌ خزائني
مقفرةٌ حقولُ حِنطتي ...

* * *

معذرةً يا صحبتي ، فالضوءُ خافتٌ شحيح
والشمعةُ الوحيدةُ التي وجدتها بجيبِ معطفي
أشعلتُها لكم ...
لكنها قديمةٌ معروفةٌ لهيبُها دموعْ

معذرةً يا صحبتي ، قلبي حزينْ
من أين آتي بالكلامِ الفرِحْ .

الكراسة الأولى

من أناشيد القرار

الى ن. ي.

اغنية للشتاء

يُنبئني شتاءُ هذا العامِ أنني أموتُ وحدي
ذاتَ شتاءٍ مثلَه ، ذاتَ شتاءْ
يُنبئني هذا المساءُ أنني أموت وحدي
ذاتَ مساءٍ مثلَهُ ، ذاتَ مساءْ
وأن أعوامي التي مضت كانت هباءْ
وأنني أقيمُ في العَرَاءْ
يُنبئني شتاءُ هذا العامِ أن داخلي ...
مرتجفٌ بردًا
وأن قلبي ميتٌ منذ الخريف ...
قد ذوى حين ذوتْ

أول أوراق الشجر
ثم هوى حين هوت
أولُ قطرةٍ من المطرْ

وأن كل ليلةٍ باردةٍ تزيده ُبعدا
في باطِنِ الحجرْ
وأن دفءَ الصيفِ إنْ أتى ليوقظَه
فلن يمدّ من خلالِ الثلجِ أذرعهْ
حاملةً وردا

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن هيكلي مريض
وأن أنفاسيَ شوكُ
وأن كل خطوةٍ في وسْطِها مغامره
وقد أموتُ قبلَ أن تلحقَ رِجلٌ رِجلا
في زحمةِ المدينةِ المنهمره
أموتُ لا يعرفُني أحدْ
أموتُ ... لا يبكي أحدْ
وقد ُيقالُ ، بينَ صحبيَ ، في مجامِعِ المسامر

مجلِسُهُ كانَ هنا ، وقد عبرْ
فيمَنْ عبر ...
يرحمُهُ الله ...

ينبئني شتاءُ هذا العامِ أن ما ظننتُهُ ...
شفايَ كان سمّي
وأن هذا الشِعرَ حين هزّني أسقطني
ولست أدري منذُ كم من السنينِ قد جُرِحت
لكنني من يومها ينزفُ رأسي
الشعرُ زلّتي التي من أجلِها هدَمْت ما بَنَيْت
من أجلها خرجتْ
من أجلها صُلبْتْ
وحينما عُلّقتُ كان البردُ والظلمةُ والرعدُ
ترُجّني خوفا

وحينما ناديته ، لم يَستجبْ
عرفتُ أنني ضيعتُ ما أضعتْ
ينبئني شتاء هذا العام أننا لكي نعيشَ في الشتاء

لا بدّ أن نَخزنَ من حرارةِ الصيفِ وذكرياتهِ ..

دِفئا

لكنني بعثرتُ كالسفيةِ في مطالعِ الخريفِ

كل غِلالي ، كل حنطتي وحَبّتي

كان جزائي أن يقولَ لي الشتاءُ أنني :

ذاتَ شتاءٍ مثلهُ ...

أموتُ وحدي

ذات شتاء مثلهُ ، أموتُ وحدي

أغنية للقاهرة

« بعد شهر من التجوال »

لقاكِ يا مدينتي حجّتي ومبكايا
لقاكِ يا مدينتي اسايا
وحين رأيتُ من خلال ظلمةِ المطار
نورَكِ يا مدينتي عرفتُ أنني غُلِلتْ
إلى الشوارع المسفلتَه
إلى الميادين التي تموتُ في وقدتها
خضرَةُ أيامي ..
وأنّ ما قدّرَ لي يا جرحيَ النامي

لقاكِ كلما اغتربتُ عنكِ
بروحيَ الظامي
وأن يكونَ ما وهبْتِ أو قدّرْتِ للفؤادِ من
ينبوعَ إلهامي
وأن أذوبَ آخرَ الزمانِ فيك
وان يضمّ النيلُ والجزائرُ التي تشقُّه ....
والزيتُ والأوشابُ والحجرْ
عظامي المفتّته
على الشوارعِ المسفلته
على ذرى الأحياءِ والسككْ
حين يلم شملها تابوتيَ المنحوتُ من جميزِ مصر
لقاك يا مدينتي يخلعُ قلبي ضاغطاً ثقيلا
كأنه الشهوةُ والرهبةُ والجوعُ
لقاك يا مدينتي ينفضُني
لقاك يا مدينتي دموعُ
أهواكِ يا مدينتي الهوى الذي يَشرقُ بالبكاءْ

إذا ارتوت برؤيةِ المحبوبِ عيناهُ
أهواك يا مدينتي الهوى الذي يسامحْ
لأن صوتهُ الحبيسَ لا يقولُ غير كلمتين ...
إن أراد أن يُصارحْ
أهواكِ يا مدينتي .....
أهواك رغم انني أنكرتُ في رحابك
وأن طيريَ الأليفَ طارَ عني
وأنني أعودُ ، لا مأوى ، ولا مُلتجأ
أعود كي أشردَ في أبوابك
أعود كي أشربَ من عذابك ...

اغنية الليل

الليل ُسكرنا وكأسنا
ألفاظنا التي ُتدارُ فيه ُنقلُنا وَبقلُنا
الله لا يحرمني الليلَ ولا مرارتَه
وإن أتاني الموتُ ، فلأمتْ محدثاً أو سامعا
أو فلأمتْ ، أصابعي في شعرِها الجعدِ الثقيلِ الرائحه
في ركنيَ الليليّ، في المقهي الذي تضيئُهُ مصابحٌ حزينه
حزينةٌ كحزن عينيها اللتين تخشيانِ النورَ في النهار
عينانِ سوداوانْ .
نضاحتانِ بالجلال المُرّ والأحزانْ
مرّت عليهما تصاريفُ الزمانْ

فشالتنا من كل يومٍ أسودٍ ظلاً ...

عينانِ سِرْدابانْ
عميقتانِ موتا
غريقتان صمتا
فإن تكلمتا
تنَدّتا تعاسةً ولوعةً ومَقْتا
ينكشف السردابُ حينما تدُقُّ الساعةُ البطيئة الخطى
معلنةً أن المسا قدْ انكشفْ
تقولُ لي العينانْ :
« يا عاهري المتوج الفَوْدَين بالحديد والحصى »
« يا ملكي الغريب الاسمِ المزيف السِماتْ »
« أحببتُ فيكَ رؤيةً رأيتُها منذُ الصغر »
« وكان يُشبهك »
« وليسَ أنتَ ... ليسَ أنتْ ! »

« كان فتى حلمي جميلاً ، لا مزوّقا »
« مثقفاً ، لا ذرِبَ اللسانْ »
« محتشماً ، نبالةً في الطبْعِ ، لا تخوّفا »
« وعاطفاً ، لا عاطفيّا »
« يا عاهري ،

يا مخدعي ،

يا قدَري » !
« في الساعةِ الليليةِ الأخيرهْ »
« خذني إلى البيتِ ، فإنني أخاف أن يَبُلّني الندى
« تذوبُ أصابعي

ويبدو قبحُ وجهي »
وتصمتُ العينانِ ، ترجمانْ
عميقتانِ صمتا
غريقتانِ موْتا
الليل ثوْبُنا ، خِباؤنا
رتبتُنا ، شارتُنا ، التي بها يعرفُنا أصحابُنا

« لا يعرفُ الليل سوى من فَقدَ النهارْ »
هذا شِعارُنا
لا تبكنا ، يا أيها المستمعُ السعيدْ
فنحنُ مَزْهوونَ بانهزامِنا

أغنية الى الله

— ١ —

لينتثرْ فتاتُ لحننا على جناحِ عيشنا الغريبْ

ولنتغرّبْ في قِفارِ العُمْرِ والشُهُوب

ولننكسرْ في كل يومٍ مرتينْ

فمرةً حينَ نُقابلُ الضياءْ

ومرةً حين تذوبُ الشمسُ في الغروبْ

فقد أرَدْنا أن نرى أوسعَ من أحداقِنا

وأن نطولَ باليد القصيرةِ المجذوذةِ الأصابع

سماءَ أمنيّاتِنا

الله يا وِحدتي المغلقةَ الأبوابْ

الله لو منحتني الصفاءْ
الله لو جلستُ في ظلالكِ الوارفةِ اللـّفاءْ
أجدلُ حبلَ الخوفِ والسأمْ
طولَ نهاري
أشنُقُ فيه العالَمَ الذي تركتُه ورا جداري
ثم أنامُ غارقاً ، فلا يغوصُ لي ...
حلُمْ ....

- ٢ -

حين تصيرُ الرغباتُ أمنياتْ
لأنها بعيدةُ المطالِ في السّما
ثم تصيرُ الأمنياتُ وهْما
لأنها تقنّعت بالغيمِ والضبابْ
وهاجرَتْ مع السحابْ
واستوطنَت أعاليَ الهضابْ
ثم يصيرُ الوهمُ أحلاما

لأنه ماتَ ، فلا يطرقُ سورَ النفسِ إلا حينَ يُظلمُ المساءْ
كأنه أشباحُ ميتين منْ أحبابنا
ثم يصيرُ الحلمُ يأساً قاتِماً وعارضاً ثقيلا
أهدابُنا ...
أثقلُ منْ أنْ ترى ...
وإن رأت فما يرى العِميانْ ؟
أقدامُنا ...
أثقلُ من أن تنقلَ الخطى ...
وإن خطتْ تشابكتْ ، ثم سقطنا هُزْأةً كبهلوانْ
نصرخُ ، يا ربّنا العظيمَ ، يا إلهنا
أليسَ يكفي أننا موتى بلا أكفانْ
حتى تُذلّ زَهْونا وكِبْرياءَنا ؟

– ٣ –

حزني ثقيلٌ فادحٌ هذا المساءْ
كأنهُ عذابُ مُصفَدينَ في السعير

حزني غريبُ الأبوينِ
لأنه تكوّنَ ابنَ لحظةٍ مفاجئهْ
ما تَمخّضَتْهُ بَطنْ
أراهُ فجأةً إذا يمتد وَسْطَ ضِحْكتي
مُكتملَ الخِلقةِ ، موفورَ البَدَنْ
كأنه استيقظَ من تحتِ الركامْ
بعدَ سُباتٍ في الدهورْ

– ٤ –

لقد بلوتُ الحزنَ حينَ يزْحَمُ الهواءَ كالدُخانْ
فيوقظُ الحنينَ ، هلْ نرى صحابَنا المسافرينْ
أحبابنا المهاجرينْ
وهل يعودُ يومُنا الذي مضى من رحلةِ الزمان ؟
ثم بلوتُ الحزنَ حينَ يلتوي كأفعوانْ
فيعصِرُ الفؤادَ ثم يَخنقُهْ
وبعدَ لحظةٍ من الإسارِ يعتقُهْ

ثم بلوتُ الحزنَ حينما يفيضُ جدولاً من اللهيبْ
نملأُ منه كأسَنَا ، ونحنُ نغضي في حدائِقِ التَذَكراتْ
ثم يمرُّ ليلُنا الكئيبْ
ويشرقُ النهارُ باعثاً من المماتْ
جذورَ فرْحِنا الجديبْ
لكنّ هذا الحزنَ مسْخٌ غامضٌ ، مستوحشٌ ، غريبْ
فقلْ لهُ يا ربُّ ، أنْ يفارقَ الديارَ
لأنني أريدُ أن أعيشَ في النهارْ

– ٥ –

يا ربّنَا العظيمَ ، يا مُعذّبي
يا ناسجَ الأحلامِ في العُيونْ
يا زارعَ اليقينِ والظنونْ
يا مرسلَ الآلامِ والأفراحِ والشجُونْ
اخترتَ لي ،
لَشَدَّ ما أوْجَعْتَني

ألم أخلّصْ بعدُ ،

أم تُرى نسيتَني ؟

الويلُ لي ، نسيتَني

نسيتني

نسيتني ...

الكراسة الثانيـة

أغنيات تائهة

اغنية من فيينا

كانت تنامُ في سريري ، والصّباحْ
منسكبٌ كأنه وِشاحْ
من رأسها لردْفِها
وقطرةٌ من مَطَرِ الخريفْ
ترقدُ في ظِلالِ جَفْنِها
والنَفَسُ المستعجلُ الخفيفْ
يَشهَقُ في حَلْمَتيها
وقفتُ قربها ، أحُسّها ، أرقُبُها ، أشمُّها
النَبَضُ نَبْض وَثَني
والروحُ روحُ صوفيٍ ، سليب البَدَنِ

أقولُ ، يا نفسي ، رآكِ اللهُ عطشى حين بلّ غربتكْ
جائعةً فقوّتَكْ
تائهةً فمدّ خيطَ نجمةٍ يُضيءُ لكْ

يا جسمها الأبيضَ قلْ : أأنتَ صوتْ ؟
فقد تحاوَرْنا كثيراً في المسَاءْ
يا جسمها الأبيض قلْ : أأنت خضرة منوّرَهْ ؟
يا كم تجولتُ سعيداً في حدائِقكْ
يا جسمها الأبيض قلْ : أأنتَ خمرهْ ؟
فقد نهلتُ من حوافِ مَرْمركْ
سقايتي من المُدامِ والحبابِ والزَبَدْ
يا جسمها الأبيضَ مثلَ خاطرِ الملائكهْ
تباركَ اللهُ الذي قد أبدعَكْ
وأحمدُ اللهَ الذي ذاتَ مَساءْ
على جفوني وضعك
لما رأينا الشمسَ في مفارق الطرق
مدّتْ ذراعَيها الجميلتينْ

مدت ذراعيها المخيفتين
ونقرت أصابع المدينة المدببة
على زجاج عشنا ، كأنها تدفعنا
نذهب ، أين ؟
تشابكت أكفنا ، واعتنقت
أصابع اليدين
تعانقت شفاهنا ، وافترقت
في قبلة بليلة منهومه
تفرقت خطواتنا ، وانكفأت
على السلالم القديمه

ثم نزلنا للطريق واجمين
لما دخلنا في مواكب البشر
المسرعين الخطو نحو الخبز والمئونه
المسرعين الخطو نحو الموت
في جبهة الطريق ، انفلتت ذراعها
في نصفه ، تباعدت ، فرقنا مستعجل يشد طفلته

في آخرِ الطريقِ ُتقْتُ – ما استطعتُ – لو رأيْتُ
ما لونُ عينيها
وحينَ شارَكنا ذرى الميدان ، غمغمَتْ بدون صوتْ
كأنها تسألُني .. من أنتْ ؟

الصمت والجناح

الصمتُ راكدٌ ركود ريحٍ ميتَهْ
حتى جنادبُ الحقولِ ساكِتَه
وقبةُ السماءِ باهِتَهْ
والأفقُ أسودٌ وضيقٌ بلا أبوابْ
منكفيءٌ من حَيثُما التفتُّ كالسردابْ
ونحن ممدودانِ في ظلالِ حائطٍ قديم
مفترشانِ ظِلّنا
ملتحفانِ بالعَذابْ

وفجأةً أورقَ في حقلِ السَما نجمٌ وحيدْ

ورفّ في الصَمْتِ البليدِ ريشُ طائرٍ فريدْ
همَسْتُ ، يا صديقي ، توجّهي لِربّنا
وناشديه ، أن يَبُثّ في ظِلالنا
رَفرَفَةَ الحياةِ من جديدْ ..

الحب في هذا الزمان

تسألني رفيقتي : ما آخرُ الطريقْ
وهل عرفتُ أوّلَهْ
نحنُ دمىً شاخصةٌ
فوقَ ستارٍ مُسْدَلَهْ
خطىً تشابكتْ بلا ..
قصدٍ ، على دربٍ قصيرٍ ضيقٍ
اللهُ وحدَهُ الذي يعلمُ ما غايةُ هذا الولهِ المؤرّقِ
يعلمُ هل تُدْركُنا السعادَةْ
أم الشقاءُ والنَدَمْ ؟
وكيف توضعُ النهايةُ المعادَهْ

الموتُ ... أو نوازِعُ السأمْ ؟
يعلمُ ، حين نلتقي بعد سنين أو شهورْ
هل سيكونُ في العيونِ وَجْدُها
هل سيكونُ في العيون حقدُها
أم نلتقي كالأصدقاءِ القدماءْ
يسلِّمونَ في فتورْ ...
يُوَدعونَ في فتورْ ...

الحبُّ يا رفيقتي ، قد كانْ
في أوّل الزمانْ
يخضعُ للترتيبِ والحُسبانْ
« نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ
فكلامٌ ، فموعدٌ ، فلقاءُ »
اليومَ .. يا عجائبَ الزمانْ !
قد يَلتقي في الحبِّ عاشقانْ
من قبل أن يبتسما

ذكرت أننا كعاشقين عصريين ، يا رفيقتي
ذقنا الذي ذقناه ْ
من قبلِ أن نشتهيه ْ
ورغم عِلمِنَا
بأن ما ننسجه ُ مُلاءة ً لِفرْشِنا
تنقضُه ُ أناملُ الصباحْ
وأن ما نهمِسُه ُ ، نُنعشَ أعصابَنا
يقتُله ُ البُواحْ
فقَدْ نسجْنَاه ُ
وقد همَسْنَاه ُ

الحب ُ في هذا الزمانِ يا رفيقتي ....
كالحزنِ ، لا يعيش ُ إلا لحظة َ البُكاءْ
أو لحظة َ الشبَقْ
الحب بالفطانةِ اختنقْ
إذا افترقنا ، يا رفيقتي ، فلنلقِ كلَّ اللومْ

على زَمانِنا
ولننفض الأيدي في التَذكارِ والنَدَمْ
ولنَمْسَحِ الظلالَ عنْ عيونِنا
ولنبتسمْ في ثقةٍ ، بأنّ ما حدَثْ
كان إرادةَ القَدَرْ
وأن آمراً أمَرْ
وأننا قد استجبنا للذي نُحسُّهُ
حينَ قتَلْنا حِسّنا
وأن ما مضى
أهونُ من أن نحمله كأمسِنا
من أن يمدّ ظِلّهُ البغيضْ
على شبابنَا
ولننطلقْ مغامرين ضائعَيْنِ في البحار العَكِرَهْ
نمد جسْمَنا الجديبَ ، والضلوع المقفرهْ
في الغرفِ الجديدة المؤجرَهْ
بين صدورِ أخَرٍ مُعتصِرَهْ

رسالة الى سيدة طيبة

في يومٍ كانتْ وَرْدَه
تغفو في كُمِّ الليلْ
الشمسُ رَعَتْها
حتى دبّتْ فيها الروح
والشمسُ ،
الشمسُ أماتَتْها
وقداً وتباريح
في يوم حلّقَ طائر
ألقاهُ الحظُّ العاثرْ
في حبِّ الآفاقِ الممتدّهْ

فمضى يَصّاعَدُ منطلقا
هبّتْ ريحٌ ألقتهُ للسفحْ
وهوى في جوفِ الآفاقِ الممتدهْ
ورعاهُ السفحُ ، فلمّ عِظامَهْ
حتى دبّتْ فيهْ الروحْ
لكنْ ، هلْ يأمَن حِضنَ الريحْ
طيرٌ مقصوصُ الريشِ جريحْ
حتى .. والريحُ رَخيّهْ
في ليلةِ صيفْ
وقّع أحدُ الشعراءِ البُسَطاءْ
أنغاماً ساذجةً خضراءْ
ليناجي قلبَ الإلفْ
لكن كفّا مَعْشوقتِه قد مزقتا أوتارهْ
صارتْ أنغامُ الشاعرِ خرْساءْ
فإذا نَطَقَتْ كانت سوداويهْ

يا سيدتي ، عذراً ....
فأنا أتكلمُ بالأمثالِ لأن الألفاظَ العريانه
هي أقسى من أن تلقيها شفتان
لكنّ الأمثالَ الملتفّةَ في الأسمال
كشفت جسدَ الواقِع
وبَدَت كالصِدقِ العُريان

أشقى ما مرَّ بقلبي أن الأيامَ الجهمه
جعلته يا سيدتي قلباً جهما
سلبته موهبةَ الحُب
وأنا لا أعرفُ كيفَ أحبك
وبأضلاعي ، هذا القلب . .

حكاية قديمة

كان له أصحابْ
وعاهدوهُ في مساءِ حُزْنِهْ ...
ألّا يسلّموه للجنودْ
أو ينكروهُ عِنْدما
يطلبه السلطانْ
فواحدٌ أسلمُهُ لقاءَ حِفنةٍ من النقود
ثم انتحرْ
وآخرٌ أنكرهُ ثلاثةً قبل انبلاج الفجرْ
وبعد أن ماتَ اطمأنتْ شَفتاهْ
ثمَ مشى مكرّزاً مفاخِراً بأنه رآهْ

وباسمه صاد مباركاً مُعمّدا

والآنَ يا أصحابْ
أسألكم سؤالَ حائرْ
أيهما أحبّهُ ؟ ...
من خسِرَ الروحَ فأرْخَصَ الحياهْ
أم من بَنَى لهُ مَعابداً ،
وشادَ باسمِهِ مَنائِرْ
قامتْ على حياهْ
نجتْ لأنها تنكرتْ

والآنَ يا أصحابْ
أيهما أحبّهُ ؟
أيهما أحبّ نفسَهُ ؟
أيهما أحبّنا ؟

لوركا

لوركا ...
نافورةُ ميدانْ
ظلٌ ومقيلٌ للأطفالِ الفقراء
لوركا اغنياتٌ غجريهْ
لوركا شمس ذهبيهْ
لوركا ليل صيفيٌ مُنعِمْ
لوركا أنثى مُتيِمْ
لوركا سوسنةٌ بيضاءْ
مَسَحَتْ خدّيها في الماءْ
لوركا أجراسُ قبابْ

سَكَنَتْ في جوْفِ ضَبابْ
قربَ النجمِ المُفْرَدْ
آناً تشدو ، آناً تتنهدْ
لوركا سعَفُ العيدِ الأخضرْ
لوركا حلوى سُكّرْ
لوركا قلبٌ مملوءٌ بالنورِ الرائقْ
وضلوعٌ شفّافهْ
لوركا صدرٌ عريانٌ من زَبَدٍ ودُخَان
عَلَمٌ للشجْعَانْ
لوركا حلوٌ كجَنى النحلِ الشَبْعانْ
مرٌ كمياهِ البحرِ الحُلْوهْ
وكمَوْجتها هيمانْ ...

في ليلةِ صيفٍ راكدةِ الريحْ
صار الشاعرُ أسطورهْ
قتلتهُ الخفراءُ الحقراءْ

قتلته الخفراءُ الحقراء
وتكوَّم جُرحاً فوقَ التلْ
شرقَتْ جمجمةٌ منخوره
بدما قلبٍ مُعتلْ
والجسمُ الخشبيْ ،
والقبعةُ المطمورة
صدئاً في الظلّ
أما الكلماتُ الحلوةُ والمرورة
فقد انسابَتْ جدوَلْ
يمضي حيثُ سقطتَ ، وعضّ الترابَ فمُكْ
حتى يُغفي في حضنِ اللهِ الغاضبْ
يرجوهُ أن يعفو عن خفراءِ بلَداء
قتلوا آخرَ أبناءِ الربّ

بودلير

أنتَ لمّا عشقْتَ الرحيل
لم تجد موطنا
يا حبيبَ الفضاءِ الذي لم تجسْهُ قدمْ
يا عشيقَ البحار ، وخِدْن القِمَمْ
يا أسيرَ الفؤادِ الملول
وغريب المنى
يا صديقي أنا
Hypocrite lecteur
Mon semblable, mon frére
شاعرٌ أنتَ والكونُ نثرْ

والنفاقُ ارتدى أجنحَهْ
وتزيّا بزي ملاكٍ جميل
والطريقُ طويلْ
والتّغني اجتراءٌ على كشْفِ سِرْ

في عيونِ النساءْ
طفتَ ، لمّا تَجِدْ
في السماءِ التي أطرَقَتْ مُعْجَبَهْ
فوقَ بحرٍ سجا كالزجاجِ الرهيفْ
لم تجدْ .. لم تجدْ
في الدخان الذي ينعقِدْ
ثم يهوي أمامَ العيونِ كثوبٍ شفيف
لم تجدْ .. لم تجدْ
فمشقتَ الرحيلْ
في بحارِ المُنى
يا فؤاداً ملولْ
يا صديقي أنا

الكراسة الثالثة

من أغاني الخروج

الى س. غ.

« بيننا يا جارتي بحر عميق »

الخروج

أخرج من مدينتي ، من موطني القديمْ
مطرّحاً أثقالَ عيشيَ الأليمْ
فيها ، وتحتَ الثوبِ قد حملتُ سرّي
دفنته ُ ببابها ، ثم اشتملتُ بالسماءِ والنجومْ
أنسلُ تحتَ بابها بليلْ
لا آمنُ الدليلَ ، حتى لو تشابَهتْ عليّ طلْعَةُ الصحراء
وظهرُها الكتومْ
أخرجُ كاليتيمْ
لم أتخيّر واحداً من الصحابْ
لكي يُفَدّيني بنفسِهِ ، فكل ما أريدُ قتلَ نفسيَ الثقيلهْ

ولم أغادِرْ في الفِراشِ صاحبي يُضلِّلُ الطلّابْ
فليسَ من يَطلبُني سوى « أنا » القديمْ
حجارةً أكون لو نظرتُ للوراءْ
حجارةً أصبحُ أو رُجومْ
سوخي إذن في الرملِ ، سيقانَ الندمْ
لا تتبعيني نحو مَهجري ، نشدتُكَ الجحيمْ
وانطفئي مَصابحَ السماءْ
كي لا ترى سوانحُ الألمْ
ثيابيَ السوداءْ
تحجّري كقلبكِ الخبيء يا صحراءْ
ولتُنسِني آلامُ رحلتكْ
تذكارَ ما اطّرحتُ من آلامْ
حتى يَشِفَّ جسمِيَ السقيمُ
إن عذابَ رِحلتي طهارَتي
والموتُ في الصحراءِ بَعثِيَ المقيمْ

لو متُّ عِشْتُ ما أشاءُ في المدينةِ المنيرهْ
مدينةِ الصَحْوِ الذي يزخرُ بالأضواءْ
والشمسُ لا تُفارِقُ الظهيرهْ
أواه ، يا مدينتي المنيرهْ
مدينة الرؤى التي تشربُ ضوءا
مدينة الرؤى التي تمجُّ ضوْءا
هل أنتِ وهمُ واهِمٍ تقَطعَتْ به السُبُلْ
أم أنتِ حقْ ؟
أم أنتِ حقْ ؟

أغلى من العيون

-١-

عيناكِ عُشّيَ الأخيرْ
أرقدُ فيهما ، ولا أطيرْ
هُدْبُهُما وَثيرْ
خيرُهما وَفيرْ
وعندما حطّ جَناحُ قلبيَ النزِقْ
بينهما ، عرفتُ أنني أدركت
نهايةَ المسيرْ
كفّاكَ نُعْمى ، نِعْمَ ما أعطيتِ للمسافرِ الفقيرْ
ابن سبيلِ الحبِّ والسرورْ

كانَ بلا زادٍ يَسيرْ
في المهمهِ المهجورْ
وفجأةً ، لاحتْ له بُشارَةٌ بيْضاءُ
رايةٌ من نورْ
راحةٌ من نورْ
وملتُ نحوَ ظلّكِ النَدي ، يا حبيبتي
أنشُقُ ريحَ الزهْرِ في حدائقِكْ
أبُلّ قلبي بالنَدى ، أنعِشُهُ بالظل والنَسائِمْ
يَغسِلُني حنانكَ الرقيقُ مِثلما ،
تغْتَسلُ السَماءُ بالغمائمْ
ومثلما تهتزُ للربيعِ شجَرَهْ
يَسقطُ عني ورقي القديمْ
يموتُ حزْنِيَ العقيمُ ، حُزنِيَ المقيمْ
يصافحُ الحياةَ وجهيَ الذي نضرْتِهِ ببَسْمتِكْ
أمدّ نحوَ الشمسِ كفّيا
وأرفعُ العينينِ للنُجومْ

- ٢ -

منْ أيِّ نبْعٍ رائقٍ يفيضُ حبُّنا
يَغمُرُنا سعادةً كأننا طِفْلانْ
لم نعرفِ التجوالَ في الزمانْ
أيُّ نسيمٍ ناعمٍ هذا الحنانْ
وأيَّ كأسٍ حلوةٍ تلكَ التي نذُوقُها
حينَ تطلُّ من عيوننا قلوبُنا المجنّحهْ
تبحثُ في الأحداقِ عن طعامِها ومائِها
ثم تنامُ في أمانْ
وأيّ كونٍ طيبٍ يحيطُنَا
حين نكونُ وحدنا معا
أي كمالٍ لم يُشاهَدْ مثلُهُ أيّ جمالْ
اللهُ عادلٌ بنا ، والكونُ خيرٌ ما يزالْ
والناسُ شفّافونَ كالخيالْ
وأنتِ يا لؤلؤتي المنَوّرهْ
أنقى من الظِلالْ

-٣-

يطيبُ لي في آخرِ المساءِ أن أقولَ كلمتينْ
شفاعةٌ أرفعُها اليكِ يا سيدة النساءْ
الحبُ يا حبيبتي أغلى من العيونْ
صونيه في عينيكِ واحفظيهْ
الحب يا حبيبتي مَليكُنا الحنونْ
كوني له مطيعةً سميعهْ
الحب يا حبيبتي هديةُ الحياة لي ، ولَكْ
لمتعبيْنِ حائرَيْنِ في السنينْ
الحبُ يا حبيبتي فِرْدوسُنا الأمينْ
حين تؤودُ ظهْرَنا الأيامْ
وتنتهي رَحلتُنا لشاطيء المنونْ
نذوبُ في هوائه مهللينَ باسمينْ
كأننا لحُونْ

احلام الفارس القديم

لو أننا كنا كغصني شجره
الشمس أرضعت عروقنا معا
والفجر روانا ندى معا
ثم اصطبغنا خضرة مزدهره
حين استطلنا فاعتنقنا أذرعا
وفي الربيع نكتسي ثيابنا الملونه
وفي الخريف ، نخلع الثياب ، نعرى بدنا
ونستحم في الشتا ، يدفئنا حنونا

لو أننا كنا بشط البحر موجتين

صفّيتنا من الرمالِ والمحارْ

توّجتنا سبيكةٌ من النهار والزَبَدْ

أسلمتنا العنان للتيّارْ

يدفعُنا من مهدنا للحْدِنا معا

في مشيةٍ راقصةٍ مدندنهْ

تشربُنا سحابةٌ رقيقهْ

تذوبُ تحت ثغرِ شمسٍ حلوةٍ رفيقه

ثم نعودُ موجتين توأمينْ

أسلمتنا العنانَ للتيارْ

في دورةٍ إلى الأبدْ

من البحارِ للسماءْ

من السماءِ للبحارْ

لو أننا كنا بخيمتَين جارَتينْ

من شرفةٍ واحدةٍ مطلعُنا

في غيمةٍ واحدةٍ مَضجَعُنا

نضيءُ للعشّاقِ وحدهم وللمسافرين
نحو ديارِ العِشقِ والمحبّهْ
وللحزانى الساهرينَ الحافظينَ مَوْثِقَ الأحبّهْ
وحين يأفُلُ الزمانُ يا حبيبتي
يُدْركُنا الأفولْ
وينطفي غرامُنا الطويلُ بانطفائنا
يبعثُنا الإلهُ في مساربِ الجنانِ دُرّتينْ
بين حصىً كثيرْ
وقد يرانا مَلَكٌ إذ يَعْبُرُ السبيلْ
فينحني ، حين نشدّ عينَهُ إلى صفائِنا
يلقطنا ، يمسحنا في ريشهِ ، يُعجبهُ بريقُنا
يرشُقُنا في المفرقِ الطهورْ

لو أننا كنّا جناحي نورسٍ رقيقْ
وناعمٍ ، لا يَبْرَحُ المضيقْ
محلّقٍ على ذُؤاباتِ السُفنْ

يبشّر الملاحَ بالوصولْ
ويوقظُ الحنينَ للأحبابِ والوطنْ
منقارُه يقتاتُ بالنَّسيمْ
ويرتوي من عرقَ الغيومْ
وحينما يُجنّ ليلُ البحر يطوينا معاً ... معا
ثم ينامُ فوقَ قلْعِ مركب قديمْ
يؤانسُ البحارةَ الذين أرْهقوا بغربةِ الديارْ
ويؤنسونَ خوفَهُ وحَيْرَتَهْ
بالشدوِ والأشعارْ
والنفخِ في المزمارْ

لو أننا
لو أننا
لو أننا ، وآه من قسوة « لو »
يافتنتي ، إذا افتتحنا بالمنى كلامَنا
لكنّنا ...

وآه من قسوتها ، لكننا ،
لأنها تقولُ في حروفها الملفوفةِ المشتبكهْ
بأننا نُنكرُ ما خلّفَتِ الأيامُ في نفوسنا
نودُّ لو نخلعُهُ
نود لو ننساه
نود لو نعيدهُ لِرَحمِ الحياهْ
لكنني يا فتنتي مجرّبٌ قعيدْ
على رصيفِ عالمٍ يموجُ بالتخليط والقمامَهْ
كونٍ خلا من الوَسامَهْ
أكسبني التعتيمَ والجهامه
حين سقطتُ فوقهُ في مطلعِ الصبا

قد كنتُ فيما فاتَ من أيامْ
يا فتنتي محارباً صَلْباً ، وفارساً هُمَامْ
من قبلِ أن تدوسَ في فؤاديَ الأقدامْ
من قبل أن تجلِدَني الشموسُ والصقيعْ

لكي تذلَّ كِبريائيَ الرفيعْ
كنتُ أعيشُ في ربيعٍ خالدٍ ، أيَّ ربيعْ
وكنتُ إن بكيتُ هزّني البكاءْ
وكنتُ عندما أحسّ بالرثاءْ
للبؤساءِ الضعفاءْ

أودّ لو أطعمتُهُمْ من قلبيَ الوجيعْ
وكنت عندما أري الحيرينَ الضائعينْ
التائهينَ في الظلامْ
أود لو يُحرقُني ضَيَاعُهُم ، أودّ لو أضيء
وكنتُ إن ضحكتُ صافياً ، كأنني غديرْ
يَفترّ عن ظِلّ النجومِ وجهُهُ الوَضيءْ
ماذا جرى للفارسِ الهُمَامْ ؟
انخلع القلبُ ، وولى هارباً بلا زِمامْ
وانكسرتْ قوادِمُ الأحلامْ
يا مَن يدلُّ خطوتي على طريق الدمعةِ البريئهْ
يا مَن يدلُّ خطوتي على طريق الضحكةِ البريئهْ

لك السلام

لك السلام

أعطيكَ ما أعطتنيَ الدنيا من التجريبِ والمهاره

لقاءَ يوم واحدٍ من البكاره

لا ، ليسَ غيرَ « أنتَ » من يعيدُني للفارسِ القديم

دونَ ثمنْ

دون حسابِ الربحِ والخساره

صافيةً أراكِ يا حبيبتي كأنما كَبُرْتِ خارجَ الزَمن

وحينما التقينا يا حبيبتي أيقنتُ أننا

مفترقان

وأنني سوف أظلّ واقفاً بلا مكان

لو لم يعدْني حبكِ الرقيقُ للطهارَه

فنعرفُ الحبّ كغُصنَيْ شجرَه

كنَجمَتين جارتين

كموجَتَين توأمين

مثل جنَاَحيْ نورسٍ رَقيقْ
عندئذٍ لا نفتَرقْ
يضمنا معاً طريق
يضمنا معاً طريق

الكراسة الرابعة

صحائف من مذكرات مهملة

مذكرات الملك عجيب بن الخصيب

- ١ -

لم آخذِ الملكَ بحد السيفِ ، بل وَرَثتُه
عن جَدّي السابع والعشرين ، (إن كان الزنا
لم يتخلل في جذورنا
لكنني أشبه في صورةٍ أبدعها رسامهُ
رسامهُ ... كان عشيقَ الملكه)

-٢-

قصر أبي في غابة التِنّين
يضج بالمنافقينَ والمحاربينَ والمؤدّبينْ

من بينهم مؤدّبي الأمين « جورجياس »
وكان لوطيا مسيحيا

-٣-

« هل ماءُ النهرِ هو النَهْرْ ؟ »
« سقراطُ... محقٌ حينَ تجرّعَ كأسَ الموتِ وما َفرْ ؟»
الميتُ ، يحس دعاءَ الأهلِ إذا ما أودِع في القبرْ ؟ »
« المرأةُ فخٌ منصوبٌ ، واحفظْ وعْظي
إن جئتَ لديها ،
لا تأمَنْها ، حتى لو َجعَلتَ فرشَ منامكْ
نهديها أو فخذيها »

– ٤ –

ورغم تعاليمه ، قد عرَفتْ النساء
إماء أبي كنّ حين ُيجنّ المساء
يجئنَ إليّ ، يضاجعنني ويلاعِبنني

وَيفضحْنَ لي ما يُسرّ أبي
اليهن ، حين تثورَ الدماءُ ، وتهمَدُ ظمأى
فيسحبُ ثوْبَه
وحين يُطبّ له كاهنوه ، فتبتلُ رغبته بالرذاذْ
ويحمدُ رَبّهْ
ولم ينفع الطبُ ذات مساء ، على حذق كهانهِ المعجبِ
ومات أبي ، والدموعُ تسيل تسيل على وجنتيْهْ
وفي كفّهِ مِزْقةٌ من رداءِ حريرْ

– ٥ –

« مات الملك الغازي » ...
« مات الملك الصالح » ...
صاحتْ أبواقُ مدينتنا صَيْحاً ملهوفا
وقفَ الشعراءُ أمامَ البابِ صُفوفا
وتدحرجتِ الأبياتُ ألوفا
تبكي الملكَ الطاهرَ حتى في الموتْ

وتمجد أسماءَ خليفته الملكِ العادل
وتراوحُ في نبرات الصّوت

« صوت حيرانْ »

هناءٌ محا ذاكَ العزاء المقدّما

« صوت فرحان »

فما عَبَسَ المحزونُ حتى تبسّما

« صوت ريانْ »

فأنتَ هلالٌ أزهرُ اللونِ مُشرقٌ

« صوت أسيانْ »

وكان أبوكَ البدرُ يلمَعُ في السما

« صوت غضبانْ »

وأنتَ كليثِ الغاب همّك همّه

« صوت بالدمعة نديان »

وكان المليكُ الراحلُ اليومَ قشعَما

« صوت بالبهجة ملآنْ »

وأنتَ الغمامُ الماطرُ الخيرَ دائما

« صوت فياض بالأحزان »

وكان أبوكَ البدرُ قد فاضَ أنعُما

صوت مبسوط حتى قرب القافية الميميه »

فحييتَ من سَبْطِ سليلِ أشاوِرِ

كرامِ سجاياهم ...

وبوركَ مَن نما ... الخ

(ما أضجرَ هذي القافيةِ الميميهْ)

(لئنْ يسكت هذا الشاعر حتى يَفنى حرفُ الميم)

— ٦ —

لو قلتُ كل ما تسرُّه الظنونْ

لقلتمو مجنونْ

« الملكُ المجنونْ ! »

لكنني أبحثُ عن يَقين

في مجلسِ الصبحِ أنا تاجٌ وصولجانْ

تقطيبُ عينينِ وبَسمتانْ

أو بسمةٌ تعقُبُها تقطيبتانْ
وكل حالٍ لها أوانْ
لكنني في مخدعي إنسانْ
وافزعي من المِسا إذا أطلْ
وافزعي من حيرةِ الأفكارِ في السُبُل
أبحث في كل الحنايا عنكِ ، يا حبيبتي المقنّعه
يا حِفنةً من الصفاءِ ضائعهْ
هل تختفينَ في الجسدْ
أعصُرُهُ فينتفضْ
وحين يَروي ينزوي ولا يَردْ
وبعد ساعةٍ يعودُهُ الظما ، كأنّ كل ما ارتوى
كان سراباً أو زَبَدْ

هل تختفينَ في غيَابَةِ الكؤسِ والحشيشِ والأفيون
كما يَقولُ الشاعرُ المأفونْ
« لولا الحشيشُ وسِنَةُ الأليفِ »

(ويقصد الأفيون)

« لغدوتُ في بؤسٍ وفي قرَف »

لقد خلطتُ أكثُوساً بأكئوسٍ كِثارْ

ثم مَزَجتَ أخضراً بأسودٍ بنارْ

شممْتُ خلْطةَ البَهارِ ، ثم غصْت في البحار

حين رأيتُ رأيَ العين طائراً برأسِ قرْدْ

وحينما أرادَ أن يقولَ كلْمةً نهَقْ

كان لهُ ذيلُ حِمارْ

ضحكتُ حتى قضقضَتْ ضلوعُ صدري

ثم غفوتْ

رأيتُ في المنامِ أنني أقود عربَه

تجرّها سِتٌ من المهَارى

تجوبُ بي الوديانَ والصَحَارى

وفجأةً تحولتْ خيولُها قِطاط

تمشي إلى الوراءِ ، وجنُّها ، عيونها تبصُ لي شرارا

ثم غدَتْ عينها نجوما

هذا النجم .. النجمُ القطبي
الدب القطبي الأبيضْ
صارتْ قِططي دِبَبَهْ
يخطو نحوي الدبّ القطبيّ ليأكلَني
أو يأخذني ليعلقني في فَكه
أتخيل أني قد عُلقتُ بفك الدب الأبيضْ
أني أتدلّى من أسنان الدبّ الأبيضْ
يا خدامَ القصرِ .. ويا حراس .. ويا أجنادْ
.. ويا ضباط ... ويا قادهْ
مُدّوا حولَ الكرةِ الأرضية نَسجَ الشبَكهْ
كي يَسْقطَ فيها مَلِكُكم المتدلي

* * *

سقطَ الملكُ المتدلي جنبَ سريرهْ

مذكرات الصوفي بشر الحافي

« أبو نصر ، بشر بن الحارث ، كان قد طلب الحديث ، وسمع سماعاً كثيراً ، ثم مال إلى التصوف ، ومشى يوماً في السوق ، فأفزعه الناس ، فخلع نعليه ، ووضعها تحت ابطيه ، وانطلق يجري في الرمضـــاء ، فلم يدركه أحد ، وكان ذلك سنة سبع وعشرين ومائتين »

- ١ -

حينَ فقدنا الرضا
بما يريدُ القضا
لم تنزل الأمطارْ
لم تُورق الأشجارْ
لم تلمع الأثمارْ
حين فقدنا الرضا
حين فقدنا الضحِكا
تفجرت عيوننا ... بُكا
حين فقدنا هدأةَ الجنبِ

على فراش الرضا الرحبِ
نام على الوسائدِ
شيطانُ بغضٍ فاسدِ
معانقي ، شريكُ مضجعي ، كأنما
قرونهُ على يَدي
حين فقدنا جوهرَ اليقينْ
تشوّهت أجنةُ الحبالى في البُطونْ
الشعرُ يَنْمو في مَغاورِ العُيونْ
والذقن معقودٌ على الجبينْ
جيلٌ من الشياطينْ
جيلٌ من الشياطينْ

— ٢ —

إحرصْ ألَّا تسْمَعْ
احرصْ ألَّا تنْظرْ

إحرص ألا تَلْمَس
إحرص ألا تتكلم
قف ! ...
وتعلَّقْ في حَبلِ الصَمْتِ المبْرَمْ
ينبوعُ القولِ عميقْ
لكنَّ الكفَّ صَغيرَهْ
من بين الوسطى والسبّابةِ والإبهامْ
يتسرَّب في الرملِ .. كلامْ

- ٣ -

ولأنك لا تدري معنى الألفاظِ، فأنت تناجزني بالألفاظ
اللفظُ حَجَرْ
اللفظ مَنِيَّهْ
فإذا ركبتَ كلاماً فوق كلامْ
من بينهما استولدَتَ كلامْ

لرأيتَ الدنيا مولوداً بشعاً
وتمنيتَ الموتْ
أرجوكْ ...
الصمتَ ...
الصمتْ !

– ٤ –

تظلُ حقيقةٌ في القلبِ توجعهُ وتـُضْنيه
ولو جفتْ بحارُ القولِ لم يُبْحِرْ بها خاطِرْ
ولم يَنشرِ شِراعَ الظنّ فوقَ مياهها ملّاحْ
وذلك أن ما نلقاهُ لا نبْغيه
وما نبغيه لا نلقاهْ
وهل يُرضيكَ أن أدعوكَ يا ضيفي لمائدتي
فلا تلقى سوى جِيفَـهْ
تعالى اللهُ ، أنتَ وهبتنا هذا العذابَ وهذه الآلامْ

لأنك حينما أبصرتنا لم نحْلُ في عينيكْ
تعالى الله ، هذا الكونُ موبوءٌ ، ولا برْءُ
ولو ينصفنا الرحمنُ عَجّلَ نحونا بالموتْ
تعالى الله ، هذا الكونُ ، لا يصلحهُ شيءُ
فأين الموتُ ، أينَ الموتُ ، أينَ الموتْ

– ٥ –

شيخي « بسام الدين » يقولْ :
« يا بشرُ .. اصبرْ
دنيانا أجملُ مما تَتذكرْ
ما أنتَ ترى الدنيا من قمّةِ وجْدِكْ
لا تبصرُ إلا الأنقاضَ السوداءْ »

ونزلنا نحوَ السوقِ أنا والشيخْ
كان الإنسانُ الأفعَى يَجْهَدُ أن يلتفَّ على الإنسا
الكرْ

فمشى من بينهما الإنسانُ الثعلبْ
عجباً ، ...
زورُ الإنسانِ الكركي في فلك الإنسانِ الثعلبْ
نزَلَ السوقَ الإنسانُ الكلبْ
كي يفقأ عينَ الإنسانِ الثعلبْ
ويدوسُ دماغ الانسان الأفعى
واهتزّ السوقُ بخطواتِ الانسانِ الفهد
قد جاءَ ليبقرُ بطنَ الانسانِ الكلبْ
ويمصّ نخاعَ الإنسانِ الثعلبْ
يا شيخي بسامَ الدين
قلْ لي .. « أينَ الانسانُ .. الانسانُ ؟ »
شيخي بسام الدين يقول :
« اصبرْ ... سيجيء
سيهلّ على الدنيا يوماً ركْبُهُ »

يا شيخي الطيب !
هل تدري في أيّ الأيامِ نعيشْ ؟

هذا اليومُ الموبوءُ هو اليومُ الثامن
من أيامِ الأسبوع الخامسْ
في الشهر الثالث عشر
الانسانُ الانسانُ عَبَر
من أعوام
ومضى لم يَعرفهُ بَشَر
حفر الحصْبَاء ، ونام
وتغطى بالآلام ....

طبعت بالمطبعة الفنية القاهرة ت ٩١١٨٦٢

منشورات مكتبة مدبولى - القـــاهرة

٧٥ قرشاً